مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10 /العدد: 2 (2022)، ص : 149- 158

أخلاقيات البيئة عند لوك فيري

Environmental Ethics in Luc Ferry

دوعة سليمة [1]، بوجلال نادية [2]

[1] جامعة تيزي وزو-مخبر تربية عمل مجتمع، salima.doua@ummto.dz

[2] كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة الجزائر nadia.boudjela@univ_alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/27 تاريخ القبول: 2022/03/31 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص: يتناول هذا البحث موضوع البيئة أو الإيكولوجيا ،وعلاقتها بالإنسان ومحيطه بإعتبارها المحضن الأول والأساسي للإنسان ،فقديما لم يكن السؤال عن حال البيئة التي هي النظام الحيوي الذي يمكن للإنسان الحياة بل الأجدر بالحديث عن طبيعة سيطرت على الإنسان وإستعبدته قاهرة إياه ، غير أن إنقلاب الأدوار في العصر الحديث من كون الإنسان عبدا للطبيعة إلى سيد لها هو الذي أحدث المقاربة الإيكولوجيا من حيث تحول الطبيعة إلى مجال لاستكمال الرغبات الإنسانية واستنزاف قدراتها ،وهو الأمر الذي جعل القرن العشرين قرنا لإتيقا البيئة والمحافظة على حق الأجيال القادمة.

فعلم البيئة أو الإيكولوجيا مبحث معاصر نتج عن تأثيرات التكنولوجيا والتطور الصناعي للإنسان المعاصر ،إهتم به العديد من الفلاسفة بإعتباره من قضايا اليومي والراهن وعليه يتوقف مصير الأجيال القادمة في أفق الغيب ،ولوك فيري كفيلسوف فرنسي معاصر إهتم بهذا العلم الجديد وربطه بالأخلاق والسياسة منتجا بذلك طرحا فلسفيا جديدا ينتمي إلى ما يسمى بالإيكولوجيا العميقة .

الكلمات المفتاحية : أخلاقيات البيئة ، الإيكولوجيا ، الإيكولوجيا العميقة ، الديموقراطية البيئية ، الخلاص.

Abstract: This research deals with the issue of the environment or ecology, and its relationship to man and his surroundings, as it is the first and basic incubator of man. The talk of man being a slave of nature to a master of it is what brought about the ecological approach in terms of transforming nature into an area to complete human desires and deplete its capabilities, which made the twentieth century a century of environmental tolerance and preservation of the rights of future generations.

Ecology is a contemporary topic resulting from the effects of technology and the industrial development of contemporary man. Many philosophers have taken care of it as a daily and current issue and upon it depends the fate of future generations on the horizon of the unseen. New belongs to the so-called deep ecology.

Keywords: environmental ethics, ecology, deep ecology, environmental democracy, salvation.

المؤلف المرسل: دوعة سليمة

1. مقدمة:

تدور عجلة الفلسفة كما تدور عجلة الزمن ،فبعد نهاية الفلسفة الهيجلية النسقية الحديثة وولوج الفكر الإنساني الفلسفي المعاصر إلى مرحلة لا نسقية تؤمن بالمطلق والغائية ، أصبحت الفلسفة تعالج مواضيع جديدة بأسلوب غير مألوف سابقا ،فلم تعد الفلسفة الفرنسية في الفترة المعاصرة بتلك الصرامة المألوفة ،ويرجع ذلك إلى أمرين الأول : إنتهاء الأنساق الفلسفية الكبرى ،والثاني : إنكباب الفلاسفة على اليومي والعادي ،أو لنقل بعبارة أخرى أن السبب هو غياب البعد "النسقي

" و" الطموح الميتافيزيقي " ومن هنا نفهم الاستفسار المستمر عن التوصيف المعرفي للمفكر لوك فيري والنقاش في إنتاجه ،وإنتاج من يسمون " بالفلاسفة الجدد " عموما .

لقد تميزت المرحلة الراهنة بنشوب جملة من المشاكل والأزمات الأخلاقية والبيولوجية ،والسياسية و الاقتصادية ،والبيئية .. الأمر الذي جعل الفلسفة المعاصرة فلسفة الأزمات بإمتياز ، ولعل الأزمات المترتبة عن المشاكل البيئية الناجمة عن التطور التكنولوجي و الصناعي هي التي دفعت الفلسفة إلى الخوض في قضايا الإيكولوجيا بوصفها تشكل خطرا مباشرا وكارثيا على حياة الإنسان ومستقبل البشرية على الأرض ،ومن هنا نجد الفيلسوف الفرنسي يخوض فلسفيا في قضايا البيئة وربطها بالإنسان وأخلاق الإنسان ،لاسيما وأن البيئة هي الأم والمحضن الأول للإنسان ،فهي الفضاء الذي يعيش فيه ويعيش منه ،ومنه فالسؤال الجدير بالطرح هنا هو : هل يمكن تأسيس منظومة أخلاقية وقيمة نحمي البيئة و أنفسنا من خلالها في زمن وعصر تكنولوجي تراجعت فيه القيم الدينية والطموحات الميتافيزيقية من وجهة نظر لوك فيري ؟

2. مفاهيم أساسية في الإيكولوجيا:

قبل الخوض في دلالات أخلاقيات البيئة تجدر بنا الإشارة إلى معاني العديد من المفاهيم المتاخمة لمفهوم البيئة ومن أهمها مفهوم الطبيعة ،والتي هي مفهوم عام وشامل يشر إلى مايو جد بشكل عفوي وتلقائي دون تدخل الإنسان، فالطبيعة هي " وجود يصنع نفسه أو على الأقل يحدد ذاته بذاته ، كليا أو جزئيا ،دون حاجة إلى علة خارجية" (لالاند، 2001، صفحة 855). أما مفهوم البيئة فيدل في اللغة على المنزل والمكان بما يحمله من تضاريس ومناخ وموارد تسمح في النهاية للكائن الحي بالحياة فيها فالبيئة حسب تعريف جميل صليبا "هي المنزلة والحالة" (صليبا، 1978، صفحة 220)، وبالتالي البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الفرد ويجد فيه ما يضمن مقومات بقاءه واستمرار حياته ،ويمارس فيه علاقاته مع بني البشر ومنه يمكن القول بأن البيئة من الناحية الاصطلاحية هي" مجموعة من العناصر المؤسسة لوسط كائن حي فهي ترادف كلمة وسط وبعبارة أخرى هي مجموعة العناصر المؤسسة للمظاهر الطبيعية أو الصناعية الناتجة من طرف الإنسان" (سعيد، 1979، صفحة 23)، ومنه البيئة هي الحيز الذي يعيش فيه الإنسان والوسط الذي يمارس فيه نشاطاته وأفعاله وهي تشمل كافات الكائنات الحية . أما مصطلح علم البيئة ecologieفهو مشتق من الكلمة الإغريقية oiko التي تعني مسكن و oyia والتي تعني دراسة أو علم ،وعليه يقصد بهذا العلم " العلم الذي يدرس العلاقات الرابطة بين الكائنات الحية وبيئتها " (إبراهيم، 2019، صفحة 13).

يتضح لنا أن علم البيئة واسع وشامل لأنه يهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان ويدرس كيفية وآلية تعامل وتفاعل الإنسان مع الكائنات الأخرى ومحيطه الطبيعي أخلاق الإيكولوجية أي الأخلاق البيئة هي جزء من الفلسفة العملية التطبيقية التي ظهرت في عصرنا منذ حوالي ثلاثين سنة على الأقل. تهتم الأخلاق البيئة كفلسفة عملية بالعلاقة بين الإنسان والكائنات الحية الأخرى التي توجد في الطبيعة ،ويعمل فلاسفة البيئة على وضع أسس ومعايير يتعامل بها ومن خلالها الإنسان مع الكائنات والبيئة التي يعيش فيها ولا يهمل فلاسفة الإيكولوجية دراسة الآثار السلبية للتكنولوجيا والثورة الصناعية على الطبيعة ، ويعرف الفيلسوف الإنجليزي روبن أتفلد أخلاقيات البيئةEnvironmental Ethics بأنها" تتمثل في دراسة المسائل والمبادئ المعيارية المعيارية، المتعلقة بتفاعلات الإنسان مع وسطه الطبيعي ، والسياق الذي تندرج فيه ،وعواقبها ،وهي فرع مهم جدا من الأخلاق التطبيقية ، التي يجب على الأفراد الخواص ، والمؤسسات،والحكومات،ضمنيا أن يستوحوا منها" (حنيفي، 2017، صفحة 02) ويعمل فلاسفة البيئة على تقديم رؤية مستقبلية قيمة من شأنها أن تحفظ البيئة وتحفظ حياة الإنسان ، وأخلاق البيئة على صلة مباشرة بعلم البيولوجيا وقد نشأ هذا العلم " بسبب أزمة حادة

واجهت المجتمع الصناعي وسبب الوعي بتلوث الهواء والماء والتربة الأمر الذي أدى إلى تدهور البيئة إلى الحد الذي قامت فيه المظاهرات وصدور تقرير نادي روما سمة 1972وكان كل ذلك تعبيرا عن الهلع من هذا المشكل الذي قد يفضي بالإنسانية إلى أزمة خطيرة إذا استمر الأمر على هذا الحال " (وهبة، 2007، صفحة 34،35).

ولا شك أن التعريف السابق يبين بأن أخلاق البيئة هي فلسفة جديدة تعبر عن رؤية وتوجه جديد، يتم فيه توجيه الوعي والفكر صوب الأفعال والممارسات الإنسانية الفردية والجماعية وعلاقتها وبالبيئة من قريب أو بعيد ، فالأخلاق البيئة تنافح وتدافع عن اتقيا المسؤولية أي مسؤولية الاتجاه إزاء البيئة وضرورة حمايتها ، والنظر إلى ذاته على أنها المسئولة على ما حدث ويحدث للطبيعة، فأمام هذا المد الصناعي والتكنولوجي الذي ترتب عنه تلوث بيئي واحتباس حراري واتساع ثقب الأوزون تحاول فلسفة أخلاق البيئة أن تجد منفذا وخلاص من كل الكوارث البيئية التي من شأنها أن تقضي على الطبيعة وعلى حياة الإنسان . فالأخلاق البيئة تقوم على فكرة جوهرية مفادها بأنه من المتاح والممكن حل وتجاوز المشكلات البيئة ، من خلال الاعتماد على أخلاقيات جديدة لا تكتفي بالإيمان والدفاع عن حق الإنسان في العيش فحسب بل تتعدى ذلك بل تتعدى ذلك من خلال تأسيس منظومة أخلاقية تحترم الكائنات الأخرى وتدمجها وتدعوا إلى احترام حقوق تلك الكائنات الحية وطبعا في ظل هذا الإطار يتم الحديث عن حقوق الحيوان ، وأخلاق الأرض ، وحقوق البيئة.

1.2 لوك فيري والدفاع عن الإيكولوجيا العميقة:

الإيمان بأن الطبيعة أم وحاضنة وحضن للإنسان من صميم أفكار لوك فيري ،من هنا ما فتئ الرجل يدافع وينافح عن حقوق الطبيعة ،من خلال كتابه" النظام الجديد للإيكولوجيا" وقد عالج لوك فيري في هذا العمل مسألة الإنسان ،والحيوان ،والنبات كمون أساسي لمعضلة البيئة، ولقد اعتمد وانطلاق لوك فيرس في هذا العمل من الإعلان العالمي لحقوق الحيوان الصادر في1978والذي نص على أن" كل الحيوانات ولدت متساوية في هذه الحياة ولها نفس حقوق الوجود" (ferry, 1992، p. 37). ومعنى هذا أن فيري يؤمن بأن كل الكائنات وأن بدت لنا مختلفة فأنها ذات أهمية ولا تقل في أهمية البيئية عن ما عداها أو ما سواها لذا ليس من الغرابة أن يجرم وينبذ لوك فيري كل صور العنف في التعامل مع الحيوان أو في تربيته، فإذ كان " من حقوق الإنسان الطبيعية الحق في الحياة وعدم التعرض له بالأذى، فإن للحيوان كذلك نفس الحق" (ferry, 1992, p. 57).

لا يقبل ولا يرضى فيري بالتميز التقليدي بين ما هو إنساني وما هو حيواني حسب الرؤية الفلسفية الكلاسيكية ويرى بأن ذلك التصور هو تصور قديم ومستهلك وقد تجاوزه الزمن، ويرى فيري بأن التصور القديم يرى بأن الثقافة مناقضة للطبيعة ،وهذا لم يعد مقبولا في عصرنا تماما.

الإيكولوجيا العميقة تنظر نظرة جذرية لعلاقة الإنسان ببيئته الطبيعية وعليه **الإيكولوجيا** العميقة حسب فيري هي" نظرة عميقة للمشكلات البيئية واتخاذ الحياة كقيمة في حد ذاتها" (ferry, 1992, p. 146).

اذن الإيكولوجيا العميقة تدحض فكرة الإنسان مركز الكون ولا تراه سيدا على الكون ،وتتناول مشاكل الطبيعة على نحو جذري ولا تتوقف ولا تكتفي عد مشكلاتها الظاهرة فحسب ، هذا ويعتبر الفيلسوف النرويجي ارني نايس أول من أبدع مصطلح الإيكولوجيا العميقة من خلال كتابه "الحركات الايكولوجية بعيدة المدى فالنموذج القائم حسب انصار الإيكولوجيا العميقة يعود إلى اللحظة التأسيسية الديكارتية ، بحيث يقول فريتجوف كابرا" أقام ديكارت نظريته إلى الطبيعة على التقسيم الأساسي بين عالمين منفصلين مستقلين. عالم العقل وعالم المادة ورأي العالم المادي كالآلة التي يمكن فهم مبدأها بتحليلها إلى أجزاء (رومية، 2011، صفحة 15)"

ومنه ينظر فيري للطبيعة وللكائنات الحية على أنها ذات حقوق طبيعية مثل الإنسان ويتجاوز التميز الديكارتي بين عالم المادة وعالم الروح وتدرس العميقة مع **الإيكولوجيا** لوك فيري صحة الإنسان ،ومشاكل التلوث، ومشاكل الموارد الطبيعية، وكيفية المحافظة عليها يقول لوك فيري " إن العميقة ح الإيكولوجيا لافا للبيئة من النوع الإصلاحي ليست مجرد حركة اجتماعية براغماتية قصيرة الأجل تهدف إلى إيقاف الطاقة النووية أو تنقية الأنهار بل هدفها الأساسي ، هو التشكيك في أنماط الفكر التقليدي الغربي الحديث وعرض البدائل(ferry, 1992, p. 120) " نستنتج أن **الإيكولوجيا** العميقة ليست محاربة لمشاكل الطبيعة الثانوية بل هي نظرة جديدة للعلاقة بين الإنسان والطبيعة وجعل الطبيعة فوق الإنسان عكس ما كان سائدا في الفكر الديكارتي والفكر الذي قبله.

2.2 لوك فيرى والدعوة الى أخلاق معادة المركزية الإنسانية والتفضيل الطبيعي:

الإنسان كمركز للكون في الأخلاقيات الايكولوجية المعاصرة هو سبب دمار الطبيعة ومنه هو المسئول المباشر عن دمار الطبيعة حسب لوك فيري ،فالإنسان بجشعه وتغطرسه وطمعه اصبح متهما لدى انصار الايكولوجيا المعاصرة لذا بات لازما معادته وانتقاده وعدم الانتصار له فيما تعلق بالجانب الايكولوجي ، فكأن الكائنات الحية من نبات ، وحيوان أعداء للإنسان لكن النظر في العمق مع لوك فيري يكشف أن الإنسان هو العدو المباشر لعناصر ومكونات الطبيعة وعليه يعتقد فيري ومن معه أنه" على المجتمع الإنساني لكي يكون قابلا للحياة ان ينتقل على صعيد الحقيقة والقيمة من معياره الحالي المتمركز بشريا إلى معيار متمركز حيويا ، ان فكرة المركزية البشرية ، التي تدعوا إلى سيطرة الإنسان على الطبيعة وسيادته عليه ترجع الى مواقف فلسفية تقليدية ، والتي استخدمت بعض الثنائيات حاولت من خلالها التميز بين الطبيعة والإنسان مثل الفكر والواقع ولأنا والأخر" (سباع، 2018، صفحة 92). أن الإنسان مع لوك فبري أصبح له واجبات نحو الطبيعة ولها حقوق عليه ولعل أهمها التعامل مع الكائنات الحية بروح الحب والمودة.

3. لوك فيري ومسألة الجرائم البيئية:

يؤمن فيري بأن الجريمة البيئية هي كل اعتداء عليها سواء الهوائية أوانطلاقا من نظرة فيري الأخلاقية لقضايا البيئة يجب أن ننظر وفقه للطبيعة على أنها بمثابة شخص ومنه نقضي على النظرة الدينية لها ،وينبغي أن تكون علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة عاطفية وحميمية وتفاعلية فيمكن" للطبيعة أن تستغنى عن البشر ، ولكن لا يمكن للبشر أن يستغنوا عن الطبيعة ولهذا السبب يتم إضفاء الشرعية على فكرة التفضيل الطبيعي تدريجيا باعتبارها الأفق الميتافيزيقي الأكثر منطقية للإيكولوجيا العميقة (ferry, 1992, p. 125)"، ومنه نفهم المائية أو الأرضية بما يقلل من قيمتها أو يشوه طبيعتها أو يستنزف مصادرها، فالبيئة هي المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية وما يحتويه من مواد وبما أن الإنسان لا يستطيع العيش بدونها فإنه ملزم على تقديرها خدمة للأجيال القادمة واستدامة لكوكبنا ، ولقد تطور الإحساس بالبيئة كثيرا منذ الخمسين سنة الماضية ،فبعد انفجار هيروشيما والرحلات المأهولة الأولى إلى الفضاء، بد لنا كوكبنا أصغر بكثير مما كنا نعتقد وأكثر قابلية للعطب، حيث أجرت الكاتبة الأمريكية راشيل كارسون" الربيع الصامت " مقارنة بين التقدم التكنولوجي والإشعاعات اللاحقة بالطبيعة حاولت من خلالها أن تظهر مدى خطورة التهديدات التي تعترض كوكب الأرض (سباع، 2018، صفحة 61)"

لوك فيري يرفض عدم اعتبار الطبيعة موضوعا للقانون وفي هذا الصدد يقول " إن القانون الجنائي يحضر في الواقع الجرائم ضد الأشخاص والممتلكات " بالرغم من أنه يجب سن قانون جنائي فيما يتعلق بالبيئة من أجل حمايتها ، وضد كل من لا يعطيها قدرها المستحق من المودة والاحترام ، وحسب فيري هناك من يعارض هذا وفي نظره هؤلاء نفسهم

من يدعمون فكرة المركزية البشرية ضد البيئة، وهم المتمسكون بالإنسانية الكلاسيكية التي ستدمر البيئة وبالتالي مصير ومستقبل الإنسان، والفلاسفة المعاصرون مثل هانس يوناس ولوك فيري يحاولون على إقامة تحول من استغلال البيئة إلى حمايتها والمحافظة عليها من أجل علاقة بين البيئة والإنسان علاقة تتصف بالمحبة والود والاحترام والنظر للطبيعة على أنها شخص يستحق المحبة والاحترام

1.3 لوك فيري فيلسوف أخلاق الخلاص و والسعادة:

لقب لوك فيري بفيلسوف الخلاص وهذا راجع للاهتمام بهذه المسألة ،وهذا ما يفسر أخذها لمساحة كبيرة في فلسفته وأعماله، فقد اعتبر لوك فيري أن فلسفته تقوم على مبدأ الخلاص ، أي فلسفة البحث عن الخلاص دون اللجوء إلى أي قوة خارجية. إنها تساعد على قهر المخاوف التي تشل الحياة، فلا أحد في نظره يستطيع أن يحل محلها ، إنها تعلم الحياة وتعلم عدم الخوف من مختلف أوجه الموت وتخطي تفاهة اليومي وقد أثبتت الفلسفات القديمة هذه القدرة على الحضور في حياتنا المعاصرة بخلاف تاريخ العلوم الذي يخضع لمنطق الدحض والتجاوز . وبهذا المعنى لن تصبح الفلسفة مجرد تأمل نقدي كما يراها الكثيرون ، بل تتحدد من خلال أبعاد ثلاثة أساسية هي :" النظرية أي كيف نرى العالم ونفسره، وعلم الأخلاق أي ما الذي سنتفق عليه فيما بيننا كجماعة إنسانية ، وقبلهما وبعدهما الخلاص أي كيف نجابه كبشر معرفتنا بزوالنا وشبح الموت والفناء الذي نعيه منذ أن نعي الوجود (فيري، 2015، صفحة 317،316)"

من الواضح أن الخلاص الذي يتحدث عنه لوك فيري هو في النهاية خلاص من الموت من هنا يقول لوك فيري " نعثر لدى مونتاني الفيلسوف الفرنسي على ذات الموضوع في حكمته الشهيرة" التفلسف هو تعلم الموت " وكذلك لدى سبينوزا في فكرته القائلة" العاقل يموت أقل من المجنون"، ولدى كانط عندما يتساءل عن ما الذي يجب أن نأمله" وحتى لدى نيتشه الذي يستعيد في فكرته براءة السيرورة أعمق مكونات عقائد الخلاص التي أنشأتها العصور القديمة (فيري، 2015، صفحة 27)" إن الخلاص ليس مجرد مفهوم نظري مجرد عند لوك فيري بل هو بمثابة فلسفة قائمة بذاتها إن الخلاص عند لوك فيري تعبير عن فلسفة إجرائية وعلاجية إذ يعني الخلاص لديه كيف نواجه ونجابه الحياة فلخاص وبحسب أي معجم بالنسبة لفيري يعني " إمكانية الاتحاد ودرء خطر أو مصيبة كبرين (فيري، صفحة 24)"

ولا يفتنا الإشارة إلى السعادة عند لوك فيري وما يرتبط بها من مفاهيم مثل الأخلاق والخلاص والمسيحية والسعادة فالرغبة في إيجاد المعنى داخل هذا الوجود، والبحث عن السّعادة أو الحياة الطيبة كما يسمّيها لوك فيري هي مهمّة الفلسفة قديما وحديثا؛ أي تلك الرّوحانيات على حدّ تعبيره، دون المرور بالإله أو المعتقدات، بل بوسائل العقل البشري والفكر وحدها. لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السّياق، هو إذا كانت الفلسفات تسعى جاهدة إلى البحث والدراسة والتفكير في السّعادة، فلماذا اختلفت في تحديدها أو في أجوبتها عنها؟. هنا يقدّم لنا لوك فيري جوابا يبدو منطقيا من الوهلة الأولى، وتحديدا لأنّه يعتبر تاريخ الفلسفة تاريخا يشبه إلى حدّ بعيد تاريخ الفنّ" أكثر مما يشبه تاريخ العلم. ففي المجال الجمالي، يمكن للإنسان أنْ يحبّ رؤى للعالم مختلفة تماما. يمكن أنْ يحبّ الرومانسيين، كما يمكنه أنْ يحبّ الكلاسيكيين. ويمكن أنْ يحبّ الفنّ القديم، بالقدْر الذي يولع به آخر بالفنّ الحديث (فيري، 2015، صفحة 25)" ومنه حسب فيري السعادة الحقيقية والخلاص الحقيقي يكمن في التناغم مع الكون "الكوسموس "،ففي أغلب تعاليم اليونانيين الأوائل من الأبيقوريين والرّواقيين، وأيضا عن أرسطو والبوذيين والطاويين "تأخذ فكرة السّعادة مركزية في العقل اليوناني القديم لمجموعة من الاعتبارات.

ومفاد هذا النّمط في التفكير هو أنّالإنسان مُطالبٌ، لكي يحقِّق سعادته أو حياته الطيّبة، بالبحث عن التّناغم مع الكون؛ أي إنّ الرّوح الأصلية للعالم تكمُن في التّناسق؛ أيْ النّظام الذي هو جميل وقيم في آن واحد (فيري، صفحة 50)" بل كلّ شيء خاضع لنظام خاصّ يدل على عظيم الصّنعة. وما على المرء إلا أنْ يبحث عن ذاته داخل هذا النّظام حتى يحسّ بالتّناغم بشكل أقوى، وبالتّالي يحقّق سعادته وحياته الطّيبة. إنّها نظرة إلى الكائن الإنساني على أنّه قطعة من السّرمد على وجه التّقريب؛ أي أجزاء من الكلّ الكوني الكبير. وبحسب هذا الرّؤية، فلن تفقدنا كما يقول فيري هذه الموت بالأساس إلا النّصيب الأتفه من وجودنا الفردي.لكنْ لتحقيق هذا المبتغى يجب تجنّب مجموعة من" المحاذير التي تجعل من وجودنا مهدّدا في تحصيل سعادته أو هنائه (فيري، 2015، صفحة 57). ولعلّ أهمّها فكرة الإفراطhybrisذلك الغرور المنفلت من كلّ قيد، والّذي يجعلنا نقدر أنفسنا أكثر مما نحن عليه. ويخرجنا من المنزلة التي أسندت إلينا، بل يجعلنا على هذا النّحو نهدّد بالقطع مع التّناغم الكوني المسمّى بالكوسموس. إضافة إلى ما سبق، فإنّ اليونانيين القدامى تنبّهوا من خلال تأمّلاتهم الفكرية والفلسفية أنّ تحصيل السّعادة أو الحياة الطيبة رهين بالانفصال التامّ عن هواجس الماضي أو المستقبل. فالماضي يمنعنا من الإقامة في الحاضر. إما لأنّه كان سعيدا فيشدّنا، أو حزينا فيغمرنا بالأحزان والآلام، وهو ما كان يسميه سبينوزا بـ "الأهواء الحزينة"." فالحنين كما الأمل، والماضي كما المستقبل، كلاهما يثقلان كاهل الإنسان ويمنعانه من سعادته، لأنّ الماضي زال والمستقبل لم يحن (فيري، 2015، صفحة 29)"

تنتمي الرؤية الأخلاقية لـ " فيري "، والتي ترتكز في الأساس على مفهوم " التعالي في المحايثة " إلى ما يطلق عليه اليوم: " مذاهب أخلاق المحايثة "، التي تدل على طائفة من النظريات القيمية المعقلنة، على مذاهب ما وراء الأخلاق، الحريصة على البقاء في ميدان عالمنا ذاته. وعندئذ تجد القيم أنّها مؤكدة، لا بالانطلاق من مرجعية مثل أعلى كلي، وليس من بعض " ما وراء العالم "، بل في قلب ما هو معطى لنا هنا و الآ. (روس، 2011، صفحة 57). إنّ " التعالي في المحايثة " – بحسب فيري – لون من التعالي يختلف عن التعالي الذي كان القدماء يسخرونه لوصف " الكوسموس " أي الكون، (إذ أنّ الإلهي عند اليونانيين، باختلافه عن إله المسيحيين، ليس كائنا من خارج العالم، بل هو إذا جاز القول تنظيمه بالذات بما أنه كامل. إنّ كلمة " سام " تُفهم هنا بالنسبة للإنسانية. إنّها تدل على واقع يتجاوز البشر دون أن يكون في مكان خارج العالم. إنّ السمو ليس في السماء بل فوق الأرض). وهو يختلف أيضا عن مفهوم التعالي الذي ينطبق على إله الديانات التوحيدية الكبيرة (إذ إنّه يشير ببساطة إلى واقع أنّ " الكائن الأسمى " قائم، بعكس الإلهي عند اليونانيين، أبعد من العالم المخلوق من قِبَله، أي أنّه في ذات الوقت خارجي ومتفوق بالنسبة للخليقة جمعاء. الأمر هنا يتعلق بسمو لا يحدد مكانه بالنسبة للإنسانية فقط، مثلما هو الحال عند اليونانيين، بل أيضا بالنسبة للعالم نفسه باعتباره مخلوقا يخضع وجوده لكائن خارجي بالنسبة له). إنّ " التعالي في المحايثة " ليس معبودا جديدا أو اختراعا من علماء ما وراء الطبيعة أو من المؤمنين، وهو ليس خرافة " أبعد من " ما قد يستخدم للحط من من قدر الواقع باسم المثال، بل إنّه فعل وإثبات فعل. إنّ القيم الأخلاقية من وجهة النظر هذه، وببساطة، ليست مفروضة علينا باسم حجج سلطوية ولا مستنتجة من خرافة ما ورائية أو دينية ما. طبعا، إنّنا نكتشف ولا نخترع حقيقة اختراع رياضي كما أنّنا لا نخترع جمال المحيط أو شرعية حقوق الإنسان. ورغم ذلك، فإنّ هذا ينكشف في داخلنا وليس في أيّ مكان آخر. إذ لم تعد هناك سماءُ أفكار ما ورائية ولم يعد هناك إله، أو على الأقل، لم نعد ملزمين بالإيمان به لكي نقبل فكرة وجودنا أمام قيم تتجاوزنا رغم أنّها غير مرئية في أيّ مكان غير أعماق وعيي الذاتي (فيري، صفحة 146).

أخلاقيات البيئة عند لوك فيري

يشدّد " فيري " على أنّ وظيفة الحياة الأخلاقية تنحصر في توفير قواعد تجعل العلاقات الإنسانية ممكنة، مدنية ومسالمة. ولا علاقة لها بما يثوي حقا في صميم المعنى الذي نضفيه على حياتنا، والذي يندرج تحت دائرة القيم الروحية. ومن هنا هو يوصي بضرورة عدم الخلط بين ما ينتمي إلى دائرة القيم الروحية، وما ينتمي إلى دائرة القيم الأخلاقية. يحاجج " فيري " كالآتي: لنفترض أننا نعيش حياة أخلاقية: لا حروب، ولا جرائم قتل، ولا أشكال من الإبادة الجماعية، ولا خوف من وقائع الاغتصاب والسرقة، فيُستغنى عن الجيوش وعن فرق الأمن والسجون ، ومن المحتمل أن يُقضى على اللا مساواة الاجتماعية، أو على الأقل على أكثرها فظاعة . هنا بالذات ستدركون في الحين الفارق بين القيم الأخلاقية والقيم الروحية. فحتى مع تحول هذا الافتراض الأسطوري إلى واقع، فإنّه سوف يصيبكم الهرم، وتفنون لا محالة، ولن يحول ذلك أيضا بينكم وبين معاناة محنة الحداد المرعبة أثر وفاة أحد الأحباء أو فراق شخص عزيز عليكم. فلو شهدت البشرية تحولا خارقا للعادة نتيجة هذا " السحر الأخلاقي " لما منع ذلك في شيء

وفاة من نحبهم، ولما دفع عنا الموت، ولا قصص الحب ذات النهاية البائسة، ولما حال ببساطة بيننا وبين القلق الناجم عن حياة يومية في غاية الرتابة. وتلك موضوعات مفعمة مع ذلك بقدر هائل من الانفعالات والقيم. إنّ هذه القيم بعينها – يقول " فيري " –: هي التي أنعتها بـ " الروحية " أو " الوجودية " لأنّها تمس مباشرة مسألة الحياة الطيبة بالنسبة للبشر الفانين. ومن هنا يتبين أنّ الحب ينتمي إلى دائرة " القيم الروحية (فيري، 2015، صفحة 13).

ما يعدّه " فيري " تمييزا بين دائرتي القيم الأخلاقية والقيم الروحية. يراه آخرون تمييزا بين دائرتين من القيم الأخلاقية، فليس ثمة شيء مما ينتمي إلى دائرة القيم الروحية بخارج عن القيم الأخلاقية. وغاية ما في الأمر: إنّ للحياة الأخلاقية ثلاث وظائف وبإمكانها أن تتوافر على ثلاثة أنواع من النتائج والمعطيات: أولها: توفير الغايات الاجتماعية، ومنها (النظم، الأمن، الرفاه العدالة، الحرية). وثانيها: توفير الغايات النفسانية، ومنها (السكينة، البهجة، رضا الباطن، إيجاد معنى للحياة). وثالثها: إيجاد تحول روحي لدى الإنسان. وهؤلاء يشككون في إمكانية أن تتحقق الغايات الاجتماعية لمن يعيش الحياة الأخلاقية، بدون أن يكون لذلك أي أثر في توافره على الغايات النفسانية، وبالتالي إيجاد تحول روحاني لديه (ملكيان، 2013، صفحة 66،65).

وعلى هذا النحو تثبت الفلسفة ذاتها في ما أسميه " الروحانية اللائكية ". إنّه لأمر بسيط وعميق للغاية في آن واحد أنّنا في حاجة لإضفاء معنى على حياتنا – وحتى اسبينوزاوشوبنهاور يقولان هذا صراحة – فيكون معنى صالحا بعيدا عن المتغيرات الطارئة التي تفرض نفسها علينا، معنى لا يقوضه الموت كليا. والفلسفة إنما تأخذ على عاتقها تحديد الشروط والوسائل الكفيلة بإيجاد هذا المعنى بواسطة الموارد البشرية وحدها، وبالتالي بواسطة مواردنا نحن تماما، تلك المتمثلة بالعقل وحدة الذهن دون المرور بالآله والايمان. وبذلك ستبدو الفلسفة على المدى الطويل لتاريخ الفكر الأوربي هي المنافسة الكبرى للأديان (فيري، 2015، صفحة 20،18)

2.3 ايكولوجيا الديمقراطية وايكولوجيا الخوف والطوارئ

يتحدث لوك فيري في أعماله عن ايكولوجيا ديمقراطية وليبرالية، ويزدي التمركز حول الإنسان ويعتبر ذلك هو المسئول عن الكوارث البيئية التي لحقت بالإنسان ، غالبا ما نتساءل عما إذا كانت البيئة قوة سياسية في حد ذاتها، إذا كان من المشروع لها أن تشكل نفسها كحزب لديه ، إذا لزم الأمر ، دعوة لممارسة السلطة في جميع القطاعات التقليدية للنشاط الحكومي .هذا ما يريده الخضر .أعتقد أنهم مخطئون. على المستوى الفكري ، وحتى الفلسفي ، لا يمكن إلا للإيكولوجيا

العميقة أن تطالب برؤية سياسة عالمية ولكن من أجل ذلك تحتاج إلى وضع الذروة الرومانسية المحافظين الجدد أو اليسارين الجدد (ferry, 1992, p. 216).

بين سؤال وإجابة يتساءل فيري ما إذا ما يمكن أن تكون البيئة القوة السياسية التي يطالب بها الخضر ،ثم يجيب بأنهم على خطأ لأنه لا يمكن ذلك لا فكريا ولا فلسفيا ، ويعتقد أنه لا توجد قوة سياسية خارج **الإيكولوجيا** العميقة ،ولكن توجد ويمكن وضعها ضمن اليسار. يقصد اللبرالية الديمقراطية " هذه الفردية الديمقراطية الأصيلة التي نجدها في الرغبة في الحفاظ على البيئة . لأنه على هذا الأساس الإيديولوجي يتطور الاهتمام بالذات ،وستكون الإرادة مريحة في بشرتك وبصحة جيدة في رأسك (ferry, 1992, p. 214)".

يمكن إعاقة معالجة الأزمات البيئية عندما لا يرى المواطنون في الديمقراطيات الليبرالية مشاكل بيئية تؤثر على حياتهم ،أو عندما يفتقرون إلى التعليم لتقييم أهمية المشكلة. إن المنافع البشرية من الاستغلال وحماية البيئة تتنافس. يمكن النظر في الأثار المترتبة عن التدهور البيئي للأجيال البشرية في المستقبل إعطاء الشواغل البيئية اساسا في السياسات الديمقراطية الليبرالية فلإنسان قادر برغبته وإرادته على تغير مجرى حياة نحو الأفضل . يؤكد لوك فيري على الرابطة الوثيقة بين الديمقراطية و **الإيكولوجيا** وفي هذا الصدد يقول فيري " تقدم **الإيكولوجيا** العميقة وجها غير متعاطف للديمقراطي ومع ذلك فإنها تشكل تحديات خطيرة للأخلاقيات الإنسانية التي تدعي بأنها تتجاوزها (ferry, 1992, p. 190) ".

يمكن القول أن ايكولوجيا لوك فيري تجعل من الطبيعة شخصية قانونية يجب أن تخضع للاحترام، فيجب النظر للطبيعة كالنظر للمواطن في ظل الدولة الديمقراطية وعليه يدعو لوك فيري إلى ايكولوجيا عميقة ديمقراطية لا إنسانية ولا ميتافيزيقية أي ليست متمركزة حول الإنسان، أخلاقيات الإيكولوجيا الديمقراطية تعطي حق الحرية والمساواة لجميع الكائنات بغية تحقيق توازن ايكولوجي يضمن استمرار واستقرار الطبيعة والانسان. لوك فيري يتحدث عن الخوف حكمة وكسياسة تبني ايكولوجيا أخلاقية تضمن استمرار الإنسان ،فالخوف بالنسبة لفيري أسلوب وطريقة للنجاة لأنه بمقدار خوف الانسان من المخاطر والكوارث سيخاف فيحتاط فينجو يقول لوك فيري "انتشار إيديولوجيات تهدف إلى إثارة المخاوف ،كما لو كان نهاية العالم ، يبدو أته شيء مزعج ... ولكنه إجراء وقائي (ferry)".

تخويف البشر بالضرائب والعقوبات المترتبة عن مخاطر البيئة أو بما سينالونه عند خطأهم في التعامل مع البيئة سياسية ايكولوجية لا مناص منها بالنسبة إلى لوك فيري وفي هذا الإطار يقول فيري " الخوف الذي أصبح أحد المشاعر المهيمنة على الكون ، ديمقراطية لن تكون شغفا حزينا أو طفو ليا مخجلا بعد الآن نحن نخاف من كل شيء، الكائنات المعدة وراثيا ، الهواتف المحمولة الجنس ، والكحول ،والتبغ ، تأثير الدفيئة ، الاحتباس الحراري ، فالخوف يصبح الطريق الأول للحكمة لأنه يجعلنا ندرك تهديدات التنمية الصناعية التي تؤثر على كوكبنا (ferry, 1992, p. 171)

4. خاتمة:

نستنتج بأن الإنسان كان هو المحور الأساسي في الفلسفة الحديثة ومع التطور العلمي والتكنولوجي أصبح الإنسان سيد الطبيعة ومالكها على حد تعبير ديكارت ، ولكن هذه السيادة كان لها وجه سلبي إذ ترتب عنها مشاكل وكوارث ومصائب بيئية لا تعد ولا تحصى ، وبأن مصير الكوكب ومصير الأجيال القادمة جعل من الفلسفة العملية التطبيقية سواء مشاكل البيولوجيا أو مشاكل **الإيكولوجيا** من بين أهم القضايا التي تناولها الفكر الفلسفي المعاصر بعمق وبجدية ومن بينهم لوك فيري الذي بحث في معنى الحياة الأخلاقية الطيبة ومعنى أن يكون الإنسان محبا لبيئته وحكيما في تعامله مع الطبيعة التي يحيا ويعيش فيها .

لوك فيري من اللذين يدافعون ويؤمنون بالإيكولوجيا العميقة التي تعطي للبيئة كيان شخصي وقانوني ، كما ربط فيري بين الأخلاق والبيئة لأن البيئة الجميلة والنظيفة توحي بأخلاق طيبو وحميدة ونبيلة ، كما نستنتج أن لوك فيري يربط بين السياسية والأخلاق كما كان الحال في الزمن الجميل أيام سقراط وأفلاطون وأرسطو ، فالبيئة مع لوك فيري أمست جزء لا يتجزأ من الأخلاق ولا ينفصل عن السياسة ، فالسياسية بالنسبة للوك فيري تدل على تصور راشد وحكيم وبعيد المدى عندما تكون أخلاقية وعندما تبنى على أساس التفكر في مستقبل البيئة ومصير الأجيال القادمة.

نستنتج كذلك أن المنهج الذي اتبعه " فيري " في تتبعه لتاريخ الفلسفة لم يقتصر فقط على التتابع الزمني للفلسفات المختلفة، بل اعتمد – في الأساس – على رصد التحولات المذهلة في ما تطرحه هذه الفلسفات المتتابعة والمتعاقبة في إطار البحث عن الحياة الطيبة، ولذلك وجد نفسه إزاء خمس حقب زمنية كبرى تختلف فيما بينها، لا من حيث أمد كل حقبة، ولا من حيث عدد الفلسفات التي تنتمي لكل حقبة، بل من حيث الأجوبة التي قدمتها الفلسفات التي تنتمي لكل حقبة عن الحياة الطيبة

5. قائمة المراجع:

المصادر باللغة الفرنسية :

1-ferry luk ,(1992) ,le nouvel ordre ècologie l'arber ,l'animal ,l'homme ,éditoin Garsset ,Paris

المصادر باللغة العربية:

1-فيري لوك(2015)،أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، دار التنوير للطباعة والنشر

2-فيري لوك،(دون تاريخ)،تعلم الحياة (دون دار نشر)

قائمة المراجع:

1-روس جاكلين،(2001)،الفكر الأخلاقي المعاصر،عويدات للنشر والطباعة ،بيروت

2-حنيفي جميلة،(2017)،أخلاقيات البيئة تطورها وتيارتها،مؤمنون بلا حدود،الرباط

3-محمد رشيد،(1979)،البيئة ومشكلاتها،عالم المعرفة،الكويت

4-إبراهيم شكري،(2019)،مقدمة في علم البيئة ومشكلاتها،دار المعارف للكتب الجامعية،بيروت

5-رومية معين،(2011)،الإيكولوجيا العميقة،دار الثقافة والإعلام

6-ملكيان مصطفى،(2013)،جدلية الدين والأخلاق ،الإنتشار العربي ،بيروت

المقالات:

1-بن السباع محمد،(2018)،الفلسفة الإيكوبوجية عند هانس يوناس،مجلة العلوم الإنسانية،المجلد 15،(العدد 26)

الموسوعات والمعاجم:

1- لالاند أندري،(2001)،موسوعة لالاند الفلسفية ،منشورات عويدات، بيروت

2- صليبا جميل ،(1987)،المعجم الفلسفي،دار الكتاب اللبناني،بيروت

3- وهبة مراد،(2007)،المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة